105308 ـ متزوج ، وله مواهب متعددة ، ويعاني من التخبط والفوضوية

السؤال

مشكلتي أنني لا أعرف ما هي مشكلتي بالضبط !!!! أنا شاب قاربت الثلاثين من العمر ، متزوج ولدي بنت واحدة ـ ولله الحمد – المشكلة هي أنني شخص فوضوي لأبعد حدٍّ ، متخبط جدّاً ، والمشكلة أني ـ ولله الحمد ـ متعدد المواهب ، فأنا شاعر ، وقاص ، ومبدع في التأليف ، والإخراج المسرحي والتلفزيوني ، وبارع في مجال الأدب والشعر ، وفي مجال التاريخ ، وكذلك الثقافة العامة ، وفهم الواقع ، سريع الحفظ ، قوي الذاكرة , ومع ذلك فقد كنت مهملاً جدّاً في دراستي ، مع العلم أني كنت أستطيع التفوق ولكن ! أعشق النوم والكسل ، نادراً ما أنجز شيئاً ، أحيانا طموحاتي تتجاوز حدود الخيال ، فأنا أريد أن أكون كل شيء ، فعندما أجد كتاباً في التاريخ ـ مثلاً ـ : أجزم أني سأكون مؤرخاً كالطبري ، وعندما أشاهد عالِماً في التلفاز ـ مثلا ـ ويعجبني : أقرر بعدها أن أكون طالب علم يشار إليه بالبنان ، وبعد فترة أطالع قصيدة فأقول : سأكون شاعر الأمة الكبير ، وهكذا تجدني في اليوم الواحد أقرر أن أكون أعظم رجل في العالم ، وأصل إلى كل شي ، وأكون ، وأكون ، والعجيب أني أحياناً أرسم ، وأضع خططاً وبرامج وأنا مبدع في ذلك ، ولكنها حبر على ورق ، مع يقيني أني لو عملت ربع هذه الخطط لأصبحت أفضل بكثير مما أنا عليه الآن ، والأغرب من كل هذا أني متميز في مجال التربية ، والشباب ، والمراكز الصيفية ، ولا يستطيع أحد أن يجاريني ، فالأسرة التي أكون أنا رئيسها في المركز : تكون الأولى في كل شيء ، ولكني لم أستطع أن أربي نفسي . أغراضي وملابسي دائما في فوضى ، كل شي بعدي يكون فوضويّاً ، لا أعرف الترتيب ، ولا النظام ، أحس أن الأشخاص المنظمين أناس لا يستمتعون في حياتهم ، أحسهم كـ " الربورتات " التي تؤدي مهامها فقط . أنا كثير الأحلام والخيال ، أما في الواقع : فلا شيء ، بصراحة وأنا الآن عاطل ، تركت الجامعة بعد سنوات طويلة ، فأنا متخرج من الثانوية قبل عشر سنوات تقريبا ، دخلت الجامعة وتنقلت بين عدة أقسام فيها ... وفي مجال الأعمال الخيرية والتطوعية كنت الأبرز من بين الشباب ، وإذا استلمت عمل : أُبدع فيه ، ولكن سرعان ما أتركه حتى عُرف عني هذا الأمر ، وأصبحت لا أُكلف بشي ، مع علمهم أنني أفضل من يقوم بأي أمر . عمري يقارب الثلاثين ، ولا يوجد لديَّ دخل ، مع أني متزوج ، ولم أتعظ ، ولكني متضايق جدّاً من حالتي المزرية ، وأنا جاد في البحث عن الحل . والله المستعان .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نسأل الله تعالى أن يوفقك لما يحب ويرضى ، ونسأله تعالى أن ييسر أمرك ، ويفرِّج كربك ، ورسالتك تحمل في طياتها شعوراً صادقاً للبحث عن حلٍّ لما تعيشه من اضطرابٍ في التفكير ، وخلل في التصور للأهداف الحياتية ، ولذا فسنحاول جهدنا الوصول بك إلى برِّ الأمان ، ونرجو أن تتعاون معنا بتحقيق ما نقوله لك في واقع العمل ، بعد أن تقرأه في واقع النظر .

1. إذا كنتَ مضطرباً في تحديد الهدف لحياتك فترى نفسك متنقلاً من مهنة إلى أخرى ، ومن عملٍ لآخر ، ومن موهبة لأختها : فلا ينبغي لك أن تتجاهل الغاية التي من أجلها خُلقت ، بل خلق الإنس والجن من أجلها ، وهي توحيد الله وعبادته ، قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات/ 56 ، ومعرفتك لغاية واحدة خُلقت لأجلها ، وسيرك في هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها هو أيضاً عامل مساعد قوي في حل مشكلتك ، فإن نسيت أو غفلت أو ضيعتك هموم الدنيا فإياك أن تغفل عن غاية خلقك ، واعمل جاهداً لتحقيقها ، وسترى السعادة في الدنيا قبل الآخرة .

قال الله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل/ 97 . قال ابن القيم – رحمه الله ـ :

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدَّس الله روحه ـ يقول : إن في الدنيا جنَّة مَن لم يدخلها : لا يدخل جنة الآخرة .

وقال لي مرة : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنَّتي وبستاني في صدري ، إن رحتُ فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة .

" الوابل الصيب " (ص 67) .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن غيره في " مجموع الفتاوى " (10 / 647) قوله : لقدْ كنت في حال أقول فيها : إن كان أهل الجنة في الجنة في مثل هذا الحال : إنهم لفي عيش طيب . انتهى

2. ونرى أن عندك جوانب إيجابية ينبغي لك استثمارها ، وجوانب سلبية ينبغي لك التخلص منها .

ومن الجوانب الإيجابية عندك :

أ. أنك متعدد المواهب ، فمثلك لا يجد صعوبة في الاستقرار على شيء ، والإبداع فيه .

ب. أنك سريع الحفظ ، وقوي الذاكرة ، وهاتان الميزتان لم تُذكرا إلا في تراجم قليلة من أهل العلم والأدب والإبداع ، فتستطيع أن تملأ صدرك بكتاب الله تعالى ، وتستطيع أن تطلب العلم الشرعي فتكون من الحاملين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، والذابين عنه وعن دينه .

ج. أنك تملك طموحاً قويّاً ، وهذا يعني قوة الشخصية ، وقوة الإرادة .

د. تميزك في جانب الدعوة إلى الله ، وحفظ القرآن ، والقيام بالأعمال الخيرية ، وهذا يمكنك استثماره في تحقيق هدفك في الحياة ؛ لأن مثلك وقف على جوانب من الشرع من الآيات والأحاديث .

وأما الجوانب السلبية التي ينبغي لك التخلص منها فوراً ، ودون تردد :

أ. عشقك للنوم والكسل ، وهذا أمرٌ محزن أن يكون من مثلك ، فأنت مفعم بالحيوية والطاقة ، وتملك مواهب متعددة ، وعندك طموح قوي ، وكل ذلك لا يتناسب مع الكسل والنوم ، وقد ذم الأطباء والعلماء والعقلاء كثرة النوم ، وجعلوها في سلسلة الأمراض التي تقتل الهمة والعمل وتمرض البدن .

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ : خصلتان تقسيان القلب : كثرة النوم ، وكثرة الأكل .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

وأما مفسدات القلب الخمسة : فهي التي أشار إليها : من كثرة الخلطة ، والتمني ، والتعلق بغير الله ، والشبع ، والمنام ، فهذه

الخمسة من أكبر مفسدات القلب .

" مدارج السالكين " (1 / 453) .

وشرح ما يتعلق بالنوم فقال ـ رحمه الله ـ :

المُفسد الخامس : كثرة النوم ؛ فإنه يميت القلب ، ويثقل البدن ، ويضيع الوقت ، ويورث كثرة الغفلة والكسل ، ومنه المكروه جداً ، ومنه الضار غير النافع للبدن ... .

وبالجملة : فأعدل النوم وأنفعه : نوم نصف الليل الأول ، وسدسه الأخير ، وهو مقدار ثمان ساعات ، وهذا أعدل النوم عند الأطباء ، وما زاد عليه أو نقص منه أثر عندهم في الطبيعة انحرافا بحسبه .

" مدارج السالكين " (1 / 459) .

فانتبه لهذا الأمر ، والتزم بأنفع النوم وأعدله ، ودع عنك النوم الزائد عن الحاجة ، وانظر لما يسببه من آثار سيئة ، ولا ترضى لنفسك إلا بالكمال .

ب. يظهر لنا من رسالتك أنك تبحث عن المجد والشهرة ، ولا يهمك تحقيق ما تصبو إليه نفسك إلا من أجل أن تكون مميزاً ويشار إليك بالبنان – على حد تعبيرك ـ ، وهذا أمرٌ خطير ، ويجب عليك التوقف عن هذه النية ، والتوقف عن السعي لتحقيق مجد وشهرة ؛ فإن هذا من كبائر الذنوب ، وهو مُحبط للأعمال ، وهو مسبب للقلق والكآبة حتى وإن تعلق بأمر غير شرعي ؛ لأن سعيك لأن تكون شاعر الأمة ، أو عالِماً ، أو أعظم رجلٍ في الدنيا : لن يأتي من مواهب متعددة ، وطموح جامح ، مع كثرة نوم ، بل يحتاج لكد وتعب وجد واجتهاد ، وسترى نفسك مع واقعك أنك لن تصبح كذلك ، فتصاب بالإحباط والكآبة ، وهذا هو الواقع ، وأنت قد أخطأت خطأ عظيماً ، وإياك أن تبحث عن مجد نفسك وشهرتها ؛ فإن ذلك سيكون على حساب الأجور والثواب إن كان في أعمالك طاعات ، وسيكون على حساب صحتك وعقلك وبدنك ووقتك إن كان في أعمالك أمور دنيوية ، فاحذر هذا المرض الخطير ، وليكن طلبك للعلم وحفظك للقرآن من أجل الأجور التي عند الله ، وليكن تنافسك مع غيرك داعياً لك للعمل والاجتهاد ، دون نية إزاحة غيرك والجلوس مكانه .

ج. التخبط في الاستقرار على عملٍ معيَّن ، وأنت قد حباك الله مواهب متعددة ، وتملك مواصفات مميزة ، وهذا التخبط سببه هو : عدم الاستقرار على شيء واحد من مواهبك وأعمالك ، فالذي ننصحك به : أن تنظر أي الأشياء أقرب لقلبك من الأعمال التي تتقنها ، اخترها ودع غيرها ، واعمل في حقلها ، وأبدع في صناعتها وإنتاجها وقيامها ، على شرط أن تكون موافقة للشرع ، فوضوح الهدف عندك لتحقيق عمل معيَّن سيجعلك تصرف النظر عن غيره ، واستقرارك على عملٍ واحد دون غيره : سيريح بالك ، ويجعلك تبدع في تحقيقه ، ولك أن تتصور كم سيكون ذلك مساهماً في حل مشكلتك ، وكم سيفرح ذلك زوجتك الصابرة على أفعالك وكسلك ونومك !

د. الفوضوية في ملابسك وترتيب أغراضك : أمر مخالف للفطرة والعقل ، ولا يمكن لإنسان حباه الله تعالى عقلاً سليماً ويستمتع بالفوضى وعدم الترتيب ، وهب أنك جئت مطعماً لتأكل فيه ، ووجدته فوضويّاً كما هو حالك : فهل ستستمتع بالأكل فيه ؟ وهب أنك جئت محلا للبقالة لتشتري غرضاً فلم تجد رفوفاً ولا ترتيباً للمواد ، ولا تصنيفاً لها ، وسألت صاحب المحل عن شيء منها ، فقال لك : ابحث في كل أغراض المحل فستجده بينها ! فأي عاقل يمكن أن يقول إن هذه الفوضى خير من

الترتيب والتنظيم والتصنيف للمواد ؟! وقل مثل ذلك في شئون حياتك كلها ، فالاستمتاع – أخي الفاضل – هو بوضع كل شيء في مكانه المناسب ، والاستمتاع بالنظافة ، والطهارة ، والترتيب ، وليس بعكس ذلك .

أخي الفاضل :

احرص على ما عندك من أمور إيجابية ، ونمِّها ، وقوِّها ، وتخلص مما عندك من سلبيات ، واعلم أنك مسئول عن نفسك ، وعن زوجتك ، وابنتك ، فأي زوج تحب أن تكون ؟ وأي أبٍ تود أن تراه ابنتك ؟ الأمر يرجع إليك في الانطلاق نحو الكمال ، وأن تدع عنك الكسل ، وتنهض لتقوم بعملٍ واحد شرعي ، تبدع فيه ، وتحقق آمالك بالعمل المستقر ، والحياة الهانئة ، فتسعد ، وتسعد زوجتك ، وابنتك ، ولا تنس الهدف الأسمى الذي خُلقت من أجله ، وهو توحيد الله وعبادته ، فأكثر من الأعمال الصالحة ، واستثمر ذاكرتك وقوة حفظك في إتمام حفظ كتاب الله تعالى ، والالتزام بحلقات العلم ، واسأل ربك تعالى أن يوفقك ، وأن يهديك لما فيه صلاح ، وصلاح أسرتك .

ننصحك بأن تبحث عن عمل وظيفي تلتزم به ، يكون متناسبا مع أقرب مواهبك إلى نفسك ، وأولاها عندك بالعطاء والإبداع ، ولو أمكن أن تعرض شيئا من أعمالك على بعض المجلات الإسلامية ، أو المواقع الإلكترونية الإسلامية ، فربما تجد فرصة للعمل والعطاء عندهم ، وربما يجدون هم ـ أيضا ـ عندك من الموهبة والعطاء ، ما يمكن أن ينفع الناس بما عندك من الخير ، وتستثمر فيه النعمة التي رزقك الله ، شريطة أن تكون جادا في الالتزام ، عازما على إصلاح نفسك وتغييرها .

والله الموفق